

الرَّؤْيَةُ الْغَائِبَةُ

د. مصطفى الفقي



حظيرون الفقي

دار الشروق

مقدمة

عكفت - مثل غيرى من أبناء هذا الوطن - فى السنوات الأخيرة متأملاً أحوال الشعب المصرى والأمة العربية فى محاولة للوصول إلى تصور شامل لمستقبلنا والبحث فى أسباب التردى الذى نعانى منه وامكانية الخروج من المأزق الذى نواجهه ، ولقد خامرنى شك كبير فى أننا لا نتمتع حتى الآن بنظرة كلية للأمور ، وأننا نكتفى بتجزئة المواقف وتشتييت الأفكار وبعثرة الجهود ، وبدأت - مثل غيرى - فى البحث لدى أمم سبقتنا على طريق التقدم ، والتنقيب عن شعوب تماسكت أمام المحن لكى أكتشف فى النهاية أن غياب الرؤية هو الذى يمثل قضية القضايا ويعتبر المفتاح الحقيقى لكل الأبواب .

فإذا كان هناك من تحدث - بحق أو بغير حق - عن " الفريضة الغائبة " ، كما تحدث آخر عن " الحقيقة الغائبة " ، فإنه يتعين علينا مع صفحات هذا الكتاب ، بما يتضمنه من موضوعات مختلفة ، وما يثيره من مسائل متنوعة - أخذ بعضها شكل المقال المنشور ، بينما كان بعضها الآخر موجزا لدراسات تمت - أن نحاول التعبير بوضوح عن جوهر الرسالة المحددة التى نبعث بها ، والقضية التى نسعى لطرحها ونحن أمة تقف على أعتاب قرن قادم بل وألفية جديدة من التاريخ الميلادى كله .

فماذا نعنى بداية بالرؤية لكى نتحدث عن غيابها أو افتقاد تأثيرها ؟ إن الرؤية فى ظنى هى ذلك التصور الشامل والإلمام الكامل بكافة جوانب ما نتصدى له ، فهى تعنى بالضرورة الاتجاه نحو المستقبل ، كما إنها تشير دائما إلى خصوبة الخيال الذى نستشرف به ملامح الغد ، لذلك فإن الرؤية لا تتوفر إلا برصيد مقبول من المعرفة الكلية ، ونصيب معقول من الثقافة الأفقية التى تنال من كل

تخصص قدرا يتميز بالعمومية ، ولا يحتاج بالضرورة إلى عمق التخصص الرأسى ،
فلقد كانت لكل حضارة قديمة رؤية ، ولكل دولة قوية رؤية ، بل لقد اقترن
وجودها دائما بالمضى قدما إلى الأمام ، حتى إننا إذا انتقلنا إلى المستوى الفردى
فسوف نجد أنه ما من مفكر مرموق أو فليسوف معروف أو عالم فذ أو فنان ذائع
الصيت ، إلا وقد وقفت وراء أعماله رؤى شاملة وتأملات عميقة ، لذلك فإن هذا
الكتاب الموجز يعالج فى حقيقة الأمر مسألة محورية تتعلق بالشأن العام وتحتل
مكانها فى مقدمة أولويات التعبئة من أجل المستقبل والتنمية من أجل
الأجيال القادمة .

فإذا كنا نحن المنتمون للثقافة العربية ، بخيالها الرحب وبدائلها المتعددة
ومفرداتها الثرية ، فنحن أحق الناس بامتلاك الرؤية وحيازة البصيرة لأنها أيضا
نتاج دروس تعلمناها من تعاقب الحضارات وتزاوج الثقافات ، على نحو يجعلنا
أقدر من غيرنا على فهم مسار التطور وإدراك فلسفة التاريخ . ولقد شهدنا فى
السنوات الماضية خلطا واضحا بين الرؤية والخطة .. بين الهدف القومى العام
والمشروع الفكرى للوطن ، وبين بعض الانجازات التى تتحقق ولكنها لا تعبر فى
مجمليها - مع اختفاء التناسق بينها - عن رؤية عامة .. لذلك فقد افتقدت الأجيال
الجديدة وضوح الرؤية وصواب الهدف فسقطت منهم أعداد لا يستهان بها فريسة
الضباب الذى يحجب تلك الرؤية ، والأعاصير التى تمزق أوصال الأمة ، وعمى
الألوان الذى يؤدى إلى خلط الأوراق وانزواء الهدف .

ونحن حين نتناول فى الصفحات التالية من هذا الكتاب نماذج للبحث عن
الرؤية ، وأمثلة للتركيز على الغاية ، فإننا نحاول أن نضع أنفسنا على بداية
الطريق الصحيح حتى نتمكن من الإمساك بالظاهرة المرضية ، وتشخيص أعراضها
توصلا لعلاجها والتخلص من آثارها ، ولسنا هنا فى مقام توزيع المسؤولية أو
توجيه الاتهام ، ولكننا نعتقد أن العامل الثقافى يلعب دورا حاكما فى ذلك ،
فالثقافة هى التى تضع اطار الرؤية وتحدد " احداثيات " مسارها ، من هنا فإن
الرؤية مسألة تقترب بالبيئة الثقافية والتراث الاجتماعى وتنعكس عليها محصلة
القيم السائدة وتؤثر فيها مجموعة التقاليد الموروثة .

ونحن - فى منطقة الشرق الأوسط - لفرط ما لدينا من تاريخ طويل وميراث ثقيل ، فإن الرؤية دائما تقوم على مرجعية زمنية تشدنا إلى الوراء ، بينما الأصل فى الرؤية أنها تدفع إلى الأمام . والأمثلة كثيرة حولنا والنماذج تحيط بنا ، فلو قارنا العربى فى بلاده ، بنظيره الآسيوى فى الشرق الأقصى ، لاكتشفنا فى يسر ووضوح أن الرؤية مسألة نسبية ترتبط بنسق حضارى معين ، وبناء ثقافى محدد ، فالآسيويون على سبيل المثال برعوا فى تشكيل نظرة للمستقبل من خلال منظور مباشر تأثر بفلسفاتهم القديمة ، وحضاراتهم العريقة ، ولكنه لم يضع فى الوقت ذاته قيда على معدل الحركة إلى الأمام ، بحيث تحقق لهم انفصال كامل بين الولاء للتراث الذى تتشكل به الشخصية القومية ، وبين الانتماء للحاضر الذى تنطلق منه المسيرة نحو المستقبل .

إننى أهدف من اصدار هذا الكتاب إلى التنبيه للمخاطر التى تحيط بكل من يفتقدون الرؤية وتغيب عنهم البصيرة لأننا نعيش عصرا حافلا بالمتغيرات الدولية والتحولات الاقليمية على نحو غير مسبوق فى تاريخ الجنس البشرى كله ، بحيث أصبح واضحا أن كل نظام سياسى لا يستند إلى فلسفة شاملة أو رؤية ناضجة إنما هو فى طريقه إلى التردى والضياع ، و " الرؤية الغائبة " التى نتحدث عنها ليست أمرا عسير التحقيق أو صعب المنال ، فهى الأرضية الصلبة التى تقف عليها الأمم ، والجسر الذى تعبر فوقه الشعوب ، كما أنها مطلب حيوى لا بديل عنه ، وهى فى النهاية النعمة الصحيحة التى تصدر عن العقل والقلب معا داخل الجسد الواحد ، إنها الوجدان النابض والضمير الحى ، من تملكها أمسك بزمام الحاضر وأدرك روح المستقبل ، ومن افتقدها بدت الحانه انغاما نشازا وأصبحت جهوده طحنا فى الهواء وتحولت أفكاره فى النهاية إلى خواء .

دعونا نفكر بأسلوب أمين تبدأ مصداقيته من علاقة الفرد بذاته وصولا إلى دوره فى أمته بحيث تقف الثقافة والتعليم ... السياسة والاقتصاد ... التقدم الفكرى والبحث العلمى ... كلها فى إطار رؤية عميقة ، ونظرة شاملة ، وفلسفة متكاملة يمكن توظيفها جميعا لخدمة أهدافنا ، وتحقيق غاياتنا .

إن الصفحات التالية ، بما تحتويه من تعدد فى الموضوع واختلاف فى الفكرة ،
تلتقى كلها تحت مظلة واحدة تحميها من غيوم الذاتية ، وأجواء الشخصية ،
وتتجه فى معظمها نحو نقطة التقاء واحدة هى البحث فى المستقبل والانطلاق نحو
آفاقه وإعادة ترتيب الأوضاع قبل أن ندق أبواب القرن القادم بسنوات قليلة ،
وكأننا نريد لأجيالنا القادمة – وقد تحققت لها وسائل التقدم العلمى ومصادر
التثقيف الذاتى – ألا تعيش نفس المعاناة التى ذقناها ، أو المصاعب التى
واجهناها ، فقيمة كل جيل جديد ومكانته تنتسب فى النهاية إلى الجيل الذى علم ،
والماضى الذى أضاء ، ونحن واثقون من أن حاضرننا هو بالضرورة أفضل من
ماضيها ، كما أن مستقبلنا سوف يكون أفضل منهما معا...

رحلة تمضى .. وحياة تستمر .. ورؤية لا تغيب .

د . مصطفى الفقى

القاهرة ١٩٩٦

هذا الكتاب

.. والنماذج عديدة لأصحاب الرؤى الثابتة في التاريخ الحديث ، فالحاكم الذي وضع اللبنة الأولى في بناء الدولة المصرية المصرية معتمدا على نزعة استقلالية عن الخلافة العثمانية ، والذي أقام الجسور والقناطر وشيد المصانع وجيش الجيوش وبنى المدارس وأرسل البعثات إلى الخارج ليعود طلابها حاملين شعلة التنوير منذ الربع الأول من القرن التاسع عشر . . إن هذا الحاكم - برغم أنه لم يكن مصرياً - هو نموذج لتوظيف السلطة لخدمة الرؤية ، كما أن حفيده الذي كان يحلم بمصر قطعة من أوروبا - برغم كل ما عليه - هو أيضاً حاكم ذو رؤية حتى ولو اختلف البعض معه .

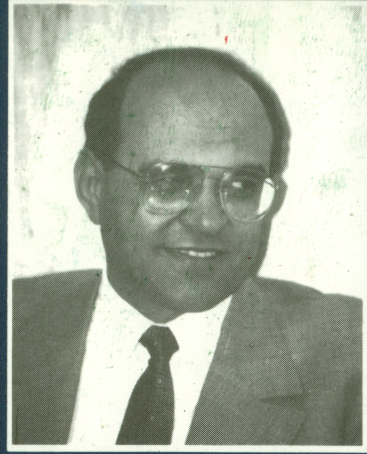
« وفارس نجد » الذي وحد الجزيرة العربية وجمع أطرافها تحت لواء دولة واحدة أصبحت تحمل اسم « المملكة العربية السعودية » هو في النهاية صاحب رؤية مبكرة ، قاتل لتحقيقها وسعى للوصول إليها . .

والجنرال الذي قاد المقاومة الفرنسية من الخارج خلال الحرب العالمية الثانية ثم احتاجته بلاده مرة أخرى لينتشل فرنسا من مستنقع حرب التحرير الجزائرية ويخرج بها من المأزق الذي كانت تواجهه ، هو نموذج لوطنى فرنسى كانت له رؤية واسعة وسياسة واضحة داخل أوروبا وأمام الولايات المتحدة الأمريكية بصورة تركت بصماتها على روح العصر كله . .

المؤلف

دار الشروق

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسنى - هاتف: ٣٩٤٥٧٨ - فاكس: ٣٩٣٤٨١٤
بيروت: ص ب: ٨٠٦٤ - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣



د. مصطفى الفقى

- تخرج في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة القاهرة (١٩٦٦) ، حصل على « دكتوراة الفلسفة » في العلوم السياسية من جامعة لندن (١٩٧٧) .
- دبلوماسى في وزارة الخارجية المصرية منذ عام تخرجه ، وخدم في سفارتى مصر لدى بريطانيا والهند ، كما تولى منصب « أمين عام المجلس الاستشارى للسياسة الخارجية » ، ومدير معهد الدراسات الدبلوماسية ، وسفير مصر لدى جمهورية النمسا وغير مقيم لدى جمهوريتى سلوفاكيا وسلوفينيا ومندوب مصر لدى المنظمات الدولية في « فينا » . .
- عمل سكرتيراً للسيد رئيس جمهورية مصر العربية للمعلومات في الفترة من ١٩٨٥ إلى ١٩٩٢ .
- قام بالتدريس في الجامعة الأمريكية بالقاهرة لمدة خمسة عشر عاماً (١٩٧٨ - ١٩٩٣) ، وبحث خارجى للدرجات العلمية العليا بالجامعات المصرية .
- محاضر في عدد كبير من العواصم العربية والأجنبية ، ومتحدث رئيسى في الجلسة الافتتاحية للمنتدى الاقتصادى الدولى « بدافوس » في سويسرا - يناير ١٩٩٥ .
- حصل على كأس « الخطابة » من أسبوع شباب الجامعات المصرية عام ١٩٦٥ . والجائزة الأولى في « المقال السياسى للشباب » من المجلس الأعلى للعلوم والفنون والآداب عام ١٩٦٦ وجائزة « أفضل كتاب في الفكر السياسى » من معرض القاهرة الدولى للكتاب عام ١٩٩٣ ، وجائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٩٤ .
- عضو المجلس الأعلى للثقافة (لجنة العلوم السياسية) .
- له مؤلفات عديدة باللغتين العربية والإنجليزية كما شارك في إعداد وتأليف الموسوعة القبطية (باريس ١٩٩٠) ، وموسوعة الشروق (القاهرة ١٩٩٣) .